الفصل الخامس
فضائل الأعمال
الاجتماعية

obeikandl.com

الفصل الخامس: فضائل الأعمال الاجتماعية:وفيه ستة مباحث:ـ

المبحث الأول: فضل عيادة المريض:ـ

الحمد لله ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . ﷺ. أما بعد:

المرض ابتلاء من الله للمريض والابتلاء دليل على محبة الله ولذلك ابتلى به أصفياءه وهم الأنبياء حتى كانوا اشد الناس بلاء. قال رسول الله . ﷺ:"إذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط".([1]) والكل يمرض فالمرض لا يفرق بين شخص وآخر، فهو يكفر الذنوب.، أما المريض فيكون في حاجة ماسه إلى وجود الناس إلى جوارة وخاصة أقاربه وأحبابه بالزيارة، والمواساه والكلمة التي تفرج همه وتعينه على تحمل المرض وتثبته لذاك حض الله علي عيادة المريض لأنها تزيد المحبة والمودة بين الناس وهى سنة عن المصطفى العدنان . ﷺ..

عن البراء بن عازب ﷺ قال: أمرنا رسول الله . ﷺ. بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعيادة المريض، وإتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ورد السلام، وإبرار القسم، وإجابة الداعي، ونصر المظلوم".([2])

وقال رسول الله . ﷺ.:"خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، وإتباع الجنائز".([3])

وعن أبى موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله . ﷺ.:"أطعموا الجائع وعودوا المريض، وفكوا العاني".([4])

وها هي بعض فضائلها:

---

[1]) صحيح الجامع برقم(285)

[2]) البخاري.

[3]) البخاري ومسلم.

[4]) البخاري.

obeikandi.com

1. استغفار الملائكة الكرام:

عن على بن أبى طالب ﷺ قال:" ما من رجل يعود مريضا ممسيا، إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له، حتى يصبح.وكان له خريف في الجنة، ومن أتاه مصبحا خرج معه سبعون ألف ملك، يستغفرون له حتى يمسى وكان له خريف في الجنة".([1])

2. فيها رضا الله تعالى:

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله . ﷺ .: "إن الله تعالى يقول يوم القيامة:"يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدت ذلك عندي".([2])

3. من أسباب دخول الجنة:

والتي هي سلعة الله الغالية عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله . ﷺ .: "خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضا، وشهد جنازة وصام يوم، وراح إلى الجمعة وأعتق رقبة".([3])

وعن أبى هريرة ﷺ: أن رسول . ﷺ . قال: "من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر:أنا، قال:" فمن عاد منكم اليوم مريضا؟". قال أبو بكر: أنا.قال: "من أطعم اليوم مسكينا؟".قال أبو بكر:أنا.قال رسول الله . ﷺ .:"ما اجتمعت هذه الخصال في رجل إلا دخل الجنة".([4])

---

[1]) صحيح سنن أبى داود برقم(3096)

[2]) البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

[3]) صحيح الجامع برقم(3252)

[4]) مسلم.

obeikandl.com

مسائل تتعلق بعيادة المرضي لابد منها:

أ. عيادة الرجال للنساء والعكس:

لا حرج في عيادة الرجل المرأة الأجنبية، أو المرأة للرجل غير المحرم، طالما تم استيفاء الشروط الآتية: التستر، وأمن مخاطر الفتنة، وعدم الخلوة.وقد عادت أم الدرداء، رجلا من أهل المسجد من الأنصار".([1])

وروى عن عائشة رضي الله عنها: أنها زارت أبا بكر وبلالا رضي الله عنهما على حد سواء عندما سقطا مريضا عندما جاء أولا إلى المدينة.

عن أنسﷺ: أن أبا بكرﷺ قال لعمر ﷺ، بعد وفاة النبي . ﷺ .: "لنذهب إلى أم أيمن نزورها، كما كان النبي . ﷺ. يزورها". ([2])

وقد عاد رسول الله . ﷺ. أم العلاء قالت:عادني رسول الله . ﷺ. وأنا مريضة فقال: أبشرى يا أم العلاء، لأن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة".([3])

ب . عيادة غير المسلم:

لا حرج في زيارة غير المسلم المريض، وقد زار النبي . ﷺ. غلاما يهوديا ودعاه إلى الإسلام، وأسلم".([4])

والنبي . ﷺ. كان حاضرا عند عمه أبي طالب وكان على وشك الموت وهو كافر، ودعاه إلى الإسلام فأبى".([5])

ج . تكرار الزيارة:

---

[1]) البخاري.

[2]) مسلم.

[3]) الصحيحة برقم(714)

[4]) البخاري (1356)

[5]) متفق عليه فتح الباري(125/10)

obeikandl.com

بعض العلماء يرى أنه لا ينبغي لأحد أن يكرر الزيارة كل يوم حتى لا تصبح عبئا على المريض. والصحيح هو أنه يختلف وفقا للحالة. بعض الناس قد يكون عزيز على المريض، وأنه قد يكون من الصعب بالنسبة له إذا كان لا يراه كل يوم ولا يسبب ذلك مشقة للمريض. في هذه الحالة يسن لهم المواصلة، طالما أنه يعرف أن المريض لا يكره ذلك". ([1])

د . لا ينبغي للمريض أن يتمنى الموت مهما اشتد عليه المرض:

وليقل بحديث رسول الله . ﷺ. الذي قال فيه: "لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان ولابد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خير لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي".([2])

إلا إذا كبرت سنه وخاف الفتنة على نفسه فقد دعا سيدنا عمر رضي الله عنه فقال: "اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وكثرت رعيتي اللهم اقبضني إليك غير مفرط ولا مضيع.

ويجوز للمريض أن يشكو ما به من ألم على سبيل التوجع لا على السبيل الضجر واليأس قال تعالى{أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} الأنبياء:83.

وقت الزيارة

وليس هناك شيء في السنة النبوية التي تشير إلى أن هناك وقت محدد لزيارة المرضي.

وقال ابن القيم رحمه الله: لم يحدد النبي في يوم معين، أو وقت معين لزيارة المرضي، بل شرع لأمته ذلك ليلا ونهارا، وفي جميع الأوقات.([3])

---

[1]) **حاشية ابن قاسم، (03/12)**

[2]) **البخاري.**

[3]) **زاد المعاد،(1/ 497)**

obeikandl.com

لكننا يجب أن نولي اهتماما لحالة المريض وما هو أسهل بالنسبة له، فلا ينبغي للزائر أن يختار الوقت الأنسب له، إذا كان ذلك مشقة على المريض، أو عائلته. يمكن أن يكون ذلك بالاتفاق مع المريض نفسه، أو مع عائلته، أو ألأوقات المتعارف عليها في هذه الأماكن.

الدعاء للمريض

وينبغي بذل الدعاء للمريض بطريقة وردت في السنة: "لا بأس طهور إن شاء الله تعالى". (لا تقلق، بل هو تنقية إن شاء الله).([1])

وينبغي في الدعاء للشفاء أن يقال ثلاث مرات. وقد زار النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص، وقال:"اللهم اشف سعدا،" ثلاث مرات".([2])

وروى أن النبي ﷺ قال: "من عاد مريضا لم يحضر أجله، وقال سبع مرات في وجوده: أسأل الله رب العرش العظيم أن يشفيك.، إلا عافاه الله من ذلك المرض". ([3])

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:إذا جاء الرجل يعود مريضا فليقل: "اللهم اشف عبدك، ينكأ لك عدوا أو يمشى لك إلى جنازة".([4])

ويحث الزائر المريض على الصبر والتحمل عاد رسول الله ﷺ رجلا من الأنصار فأكب عليه يسأله قال: يا رسول الله ما غمضت منذ سبع ليالي، ولا أحد يحضرني فقال: "أي أخي اصبر، أي أخي اصبر تخرج من ذنوبك كما دخلت فيها ".([5])

---

[1]) البخاري.

[2]) البخاري (5659) ومسلم (1628)

[3]) صحيح سنن أبي داود برقم(3106)

[4]) صحيح سنن أبى داود برقم(3107)

[5]) البخاري.

obeikandl.com

ويخبره أن المرض يرفع منزلته عند الله قال رسول الله . ﷺ .:"إن العبد إذا سبقت له منزله لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله".([1])

وأن يشجعه ويذكره بقول النبي . ﷺ .: "إذا كان العبد يعمل عملا صالحا، فشغله عنه مرض، أو سفر، كتب له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم".([2])

وينبغي للزائر أن يسأله كيف هو وكيف هو الشعور، إلى آخرة، فقد ثبت ذلك عن النبي . ﷺ. ذلك.

*****

المبحث الثاني: فضل قضاء حوائج المسلمين:ـ

الحمد لله ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . ﷺ. أما بعد:

لقد جعل الله الناس درجات بعضهم فوق بعض وأحوج بعضهم لبعض حتى يعمر الكون وهناك أناس نضروا أنفسهم لقضاء الحوائج الناس لما عرفوا أن الفضل والخير والرضا من الله والتقرب إليه يكون بعد أداء الأركان بقضاء الحوائج للمحتاجين قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}الحج:77.

وروى الشيخان عن النبي . ﷺ. قوله: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

وقضاء الحوائج يكون في كل شيء من علم، أو مال، أو نصح، أو دلالة على الخير، أو إعانة بالنفس، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو دعا له، أو نصر لمظلوم، والتيسير على المعسر، وإكرام الضيف لقد كان السلف

---

[1]) صحيح سنن أبى داود(3090)

[2]) صحيح سنن أبى داود برقم(3091)

obeikandi.com

يتفانون في قضاء الحوائج كان أحدهم إذا كانت الليلة مطيرة أخذ شعلة من النار فطاف على عجائز الحي فقال: أوكَ َفَ عليكم بيت أتريدون نارا؟ فإذا أصبح طاف على عجائز الحي فقال:آلكم في السوق حاجة أتريدون حاجة..

ولقضاء حوائج المسلمين الفضل الكثير من رب العالمين ومن ذلك:

1. يحبهم الله:

جاء رجل إلى رسول الله . ﷺ . وقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله تعالى؟ فقال:"أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس".([1])

أي الذين يقضون حوائج الناس ويساعدونهم ليس بالمال فقط بل في جميع الأمور التي تكون في استطاعتهم.

وقال أيضا رسول الله . ﷺ .:"أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربه أو تقضى عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ومن كظم غيظا، ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه رضا ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له يثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام".([2])

كان حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معتكفا في مسجد رسول الله . ﷺ . فجاء رجل يستعين به في قضاء حاجة فخرج معه وقال سمعت رسول الله . ﷺ . يقول:"من مشى في حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوما واحدا ابتغاء مرضاة الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق أبعد ما بين الخافقين.([3])

---

[1]) صحيح الترغيب والترهيب برقم(2623)

[2]) حسن في صحيح الترغيب برقم(2623)

[3]) الطبراني وضعفه الألباني ضعيف الترغيب والترهيب.

obeikandl.com

2. تضاعف الثواب:

قال رسول الله . ﷺ .:"عجبت لملكين من الملائكة نزلا إلى الأرض يلتمسان عبدا في مصلاه فلم يجداه ثم عرجا إلى ربهما، فقالا: يا رب نكتب لعبدك المؤمن في يومه، وليله من العمل كذا، وكذا فوجدناه قد حبسته في حُبَالِيك فلم نكتب له شيئا فقال الله عز وجل: اكتبا لعبدي عمله في يومه وليلته ولا تنقصا من عمله شيئا على أجره ما حبسته وله أجر ما كان يعمل".([1])

3. تجعل فاعلها من الآمنين من عذاب الله يوم القيامة:

قال رسول الله . ﷺ .:"إن الله خلق خلقا خلقهم لحوائج الناس يفرغ إليهم في حوائجهم أؤلئك الآمنون من عذاب الله يوم القيامة".([2])

أمنية يتمناها كل إنسان وهى أن يكون من الآمنين يوم القيامة وبيدك أن تتحق لك هذه الفرصة فاغتنمها.

قال رسول الله . ﷺ .:"من ستر مسلما ستره الله في الدنيا، والآخرة، ومن نجى مكروبا فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة".([3])

روى البخاري عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله . ﷺ .:"أُتى بعبد من عباده أتاه الله مالا فقال: له ماذا عملت في الدنيا؟ قال:{....وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً}**النساء:42**. قال: يا رب أتيتني مالك فكنت أبايع الناس وكان من خلقي الجواز فكنت أيسر على المعسر وأنظره فقال: الله:أنا أحق بذلك منك".

وقال رسول الله . ﷺ .:"أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة وأيما مؤمن سقا مؤمنا على ظمأ سقاه الله يوم

---

[1]) الطبراني وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم(3682)

[2]) الطبراني وضعفه الألباني ضعيف الترهيب برقم(1569)

[3]) صحيح سنن أبي داود برقم(4893)

obeikandl.com

القيامة من الرحيق المختوم وأيما مؤمن كسا مؤمنا على عرى كساه الله من خضر الجنة".([1])

وروى الإمام مسلم أن رسول الله . ﷺ ـ قال: من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عنه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا، والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه".

وقال على بن أبى طالب ﷺ: يا سبحان الله ما ازهد كثير من الناس في الخير وإني لأعجب برجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كنَّا لا نرجو جنة ولا نخاف نارا، ولا ننتظر ثوابا، ولا نخاف عقابا فكان لنا أن نطلب مكارم الأخلاق تدلنا على سبيل النجاة.

4. تدخل الجنة:

قال رسول الله . ﷺ .: "من أدخل على بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة". ([2])

فيا أخي عريت الآخرة لأن بيوت الدنيا طين وحجر وتراب وحديد وخشب وجريد إن لم يكنس كثرت فيه القمامة وإن لم يسرج فما أشد ظلامه، وإن لم يعاهد بالبناء، فما أسرع انهدامه. وإن لم تعاهده، فمآله إلى الخراب، وعن قريب يصير كالتراب ينفر منه السكان، وينتقل منه القطان يعفو آثره، ويندرس خبره يمحى اسمه فأين أنت من دار باقية قصورها عالية أنهارها جاريه قطوفها دانية أفراحها متوالية.

ازرع جميلا ولو في غير موضعه..... فلن يضيع جميل أينما زُرع

إن الجميل وإن طال الزمان به.....فلن يحصده إلا الذي زَرع

---

[1]) الترمذي وضعيف الترغيب والترهيب برقم(555)

[2]) الطبراني وضعيف الترغيب برقم(1584)

obeikandl.com

*****

المبحث الثالث: فضل إصلاح ذات البين:

الحمد لله ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . ﷺ. أما بعد:

لقد أمرا لله بإصلاح ذات البين في القرآن الكريم فقال تعالى:{فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} **البقرة:182**.

وقال تعالى:{وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} **البقرة:224**.

وقال تعالى:{لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}**النساء:114**.

وقال تعالى:{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}**النساء:128**.

وقال تعالى:{وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً}**النساء:129**.

وقال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} **الحجرات:10**.

وقال تعالى:{وأَصلحوا ذات بينكم}.ومعنى ذات البين: صاحبة البين، والبين في كلام العرب يأتي على وجهين متضادين:

1. الفراق والفرقة ومعناه: إصلاح صاحبة الفرقة بين المسلمين بإزالة أسباب الخصام والتسامح والعفو، وبهذا الإصلاح يذهب البين وتنحل عقدة الفرقة.

2. الوصل ومعناه: ومعناه: إصلاح صاحب الوصل والتحابب والتآلف بين المسلمين، وإصلاحها يكون برأب ما تصدع منها وإزالة الفساد الذي دبّ إليها بسبب الخصام، والتنازع على أمر من أمور الدنيا".([1])

وعندما ترفع الشريعة الإسلامية درجة الإصلاح بين الناس إلى هذا الحد، فدلالة ذلك على قدره العلي، حيث المجتمع الآمن المليء بالخير والبر، فهذا فضل عظيم ودرجة رفيعة للمحسنين الذين يصلحون بين الناس إذا فسد ذات بينهم، ويقربونهم إذا تباعدوا، فأي عمل أفضل من هذا؟؟!..إن إسلامنا دائماً يأمر بالوحدة وتلاحم الصف، والإصلاح يأتي بمعنى المحبة والتقارب والتواصل بين المسلمين بكل طوائفهم، فيحل الوفاق بدلا من الشقاق والتآلف بدل التقاطع والحب بدل الكره وهكذا..

فمن أعظم ثمرات الإصلاح بين الناس المحبة والعطاء والتعاون والجد والإنتاج، فإذا صار هناك نوع من التفرق فلا يكون الإنتاج الذي هو من ثمرات الإصلاح بينهم، فإذا نُزع الإصلاح حل محله الشقاق، وبالتالي يكون هناك القلق والإحباط، وهذا الأمر من الخطورة بمكان، لذلك نجد أن الرسول الكريم . ﷺ . وضح لنا أن إفساد ذات البين هي الحالقة وهي داء الأمم، والإصلاح بين الناس في نظر الشريعة الإسلامية من أفضل الأعمال وأجلها عند الله.

الكلمة الطيبة، هي البلسم، والطريق الصحيح للإصلاح بين الناس.

أهم طرق العلاج هي مسألة حسن الخلق مثلما يقول الرسول الكريم . ﷺ . في جزء من حديث مهم "وخالق الناس بخلق حسن" فحسن الخلق هو أساس العلاج وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، وكذلك مسألة الصبر

---

[1]) الأخلاق الإسلامية للميداني (230/2)

obeikandl.com

على الناس وإيذائهم، فالصبر على أذى الناس والاختلاط بهم أفضل من اعتزالهم وعدم الصبر على أذاهم، فاستشعار الأجر، والثواب في إصلاح ذات البين كذلك من الأسباب المعينة على الإصلاح، فإذا عرف الإنسان الأجر واستشعره صبر على الإصلاح بين الناس فيتحمل الفريقين المراد الإصلاح بينهما، وإذا أسقطنا ذلك على الواقع المعاش مثل العلاقات الزوجية، والاجتماعية، والعلاقات الوظيفية نجد أن الذي يخاف الله سبحانه وتعالى، ويستشعر الأجر، والثواب عند الله عز وجل هو الذي يكون حريصاً على إصلاح ذات البين؛ لأنه يستشعر أن الإصلاح له أجر عظيم وفضل وفير يوم القيامة، فلابدَّ أن يتذكر كل طرف فضل الله سبحانه وتعالى عليه يوم القيامة.

**هناك بعض القدرات الخاصة للذي يقوم بهذا الأمر، فأول شيء في هذا الشأن أن يكون القائم على ذلك ذا علم لأن فاقد الشيء لا يعطيه، أضف إلى ذلك مسألة الحكمة في الطرح وتناول الموضوع، وكذلك لين الجانب قال تعالى لرسوله الكريم: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ }آل عمران159. ،

كذلك التواضع قال تعالى:{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ }الحجر /88. ،

وكما يقال: كونوا كالشجر يرمونه الناس بالحجر فيرميهم بأطيب الثمر.

وكلما زاد الإنسان تواضعاً زاد قرباً من الناس وكذلك السماحة، وأن يكون شخصية مرنة، فهذه كلها تؤدي إن شاء الله تعالى إلى الإصلاح وتقبل الآراء كذلك، وفوق كل شيء تقوى الله سبحانه وتعالى والتوكل عليه، والإيمان أضف إلى ما قلنا ضرورة العلم الشرعي الذي يؤهل المصلح للقيام بالمهمة المنوطة به والتي يقوم بها، حيث يجب أن يكون ملماً بالآيات والأحاديث والقصص والأشعار التي من شأنها أن تكون مؤثرة وذات وقع

جميل على قلوب ونفوس الفريقين المراد الإصلاح بينهما، وكذلك الإحاطة بجوانب الخلاف بين الناس وكيف بدأت هذه القضية والمراحل التي مرت بها والأسباب التي أدت إلى ذلك، حتى يكون على دراية بطرق العلاج، ثم بعد ذلك يكون الأسلوب الحسن والقول الطيب، ولا ينقل كلاماً من شأنه أن يعكر صفو الآخر المنقول إليه، ولابدَّ كذلك أن يكون صاحب خلق كريم حتى يتم الخير والبر على يديه، ولا تنتهي المهمة بالعلاج الوقتي فلابدَّ له أن يتابع بعد مرحلة العلاج وأن ينظر إلى النتائج ومتابعة الثمرة، فهذا يكون العلاج قبل مسألة الإصلاح وأثناء مرحلة الإصلاح وبعد مرحلة الإصلاح لتكون له زاداً يوم القيامة وعوناً وقرباً من الله – عز وجل – يقول تعالى:{ وَالْعَصْرِ{1} إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ{2} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ{3}سورة العصر. والإصلاح يكون بيد الله سبحانه وتعالى وحوله وقوته وليس بذكاء الإنسان المصلح وقوته، والإنسان ما هو إلا منفذ لإرادة الله في هذا الأمر، فإذا استشعر ذلك كتب الله الإصلاح على يديه، فإذا صلح ذات البين صلح المجتمع عامة، وإذا صلح المجتمع صلحت المجتمعات الكبرى والأمة الإسلامية عامة.

**فضائل الإصلاح.

1. من أفضل الأعمال:

فهو عبادة جليلة وخلق جميل يحبه الله ورسوله . ﷺ .، وهو خير كله قال تعالى:{والصلح خير} النساء: 128.

قال تعالى:{وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}الشورى40.

وقال رسول الله . ﷺ .: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: "إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة".([1])

وقال رسول الله . ﷺ .:"ما عمل ابن آدم شيئاً أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخلق حسن".([2])

2. بالإصلاح تكون الأمة وحدة متماسكة:،

يعز فيها الضعف ويندر فيها الخلل ويقوى رباطها ويسعى بعضها في إصلاح بعض.كتب رسول الله كتابا بين المهاجرين والأنصار على أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف"العاني الأسير" والإصلاح بين المسلمين".([3])

وقال رسول الله . ﷺ .: "المسلم للمسلم كالبنيان وشبك رسول الله . ﷺ . أصابعه".([4])

3. بالإصلاح يصلح المجتمع:

وتأتلف القلوب وتجتمع الكلمة وينبذ الخلاف وتزرع المحبة والمودة. قال رسول الله . ﷺ .:"لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا....."الحديث.

4. الإصلاح عنوان الإيمان في الإخوان:

قال تعالى:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}**الحجرات: 10**.

5. إذا فقد الإصلاح هلكت الشعوب والأمم:

---

[1]) صحيح سنن أبي داود برقم(4919)

[2]) الصحيحة:(1448)

[3]) رواه أحمد.

[4]) البخاري.

obeikandl.com

وفسدت البيوت والأسر وتبددت الثروات وانتهكت الحرمات وعم الشر القريب والبعيد.

6. الذي لا يقبل الصلح ولا يسعى فيه رجل قاسي القلب:

قد فسد باطنه وخبثت نيته وساء خلقه وغلظت كبده فهو إلى الشر أقرب وعن الخير أبعد.

7. المصلح قلبه من أحسن القلوب وأطهرها، نفسه تواقة للخير مشتاقة، يبذل جهده ووقته وماله من أجل الإصلاح.

8 . يدخل الجنة:

قال تعالى:{وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} **الأعراف:170**.

وقال رسول الله . ﷺ .: "تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا شريك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا".([1])

عن أنس بن مالك ﷺ قال:" بينا نحن جلوس عند رسول الله . ﷺ . إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال له عمر ﷺ: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟ فقال:"رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تبارك وتعالى للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب فليحمل من أوزاري، قال: وفاضت عينا بالبكاء ثم قال: إن ذاك اليوم يحتاج الناس إلى من يحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك فانظر في

---

[1]) **مسلم.**

obeikandi.com

الجنان، فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من ذهب وقصور من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا؟ أو لأي صديق هذا؟ أو لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن، قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال الله عز وجل: فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة، فقال عند ذلك " اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين المؤمنين".([1])

**<u>مبادين الإصلاح.</u>

1. في الأفراد والجماعات: عن سهلِ بن سعد ﷺ: أَنَّ أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأُخبِر بذلك فقال: اذهبوا بنا نصلح بينهم".([2])

2. في الأزواج والزوجات:

جاء بيت فاطمة فلم يجد عليًّا في البيت فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي، فقال: لإنسان: انظر أين هو فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء وهو مضطجِع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل يمسحه عنه ويقول: قم أبا تراب، قم أبا تراب".([3])

3. بين المتداينين:

عن كعب بن مالك أَنه تقاضى ابن أَبي حدرد دينا كان له عليه في عهد في المسجد فارتفعت أَصواتهما حتى سمعها وهو في بيته فخرج إِلَيهِما حتى كشف سجف حجرته فنادى كعب بن مالك فقَال: يا كعب فقَال: لبيك يا

---

[1]) الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

[2])البخاري.

[3]) البخاري.

obeikandl.com

رسول الله، فأَشار بيده أن ضع الشطر فقال كعب: قد فعلت يا رسول الله، فقال: قم فاقضه".([1])

4. في الأقارب والأرحام:

حُدِّثَتْ عائشة رضي الله عنها أَنّ عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرنَّ عليها. فقالت: أهو قال هذا ؟ قالوا: نعم. قالت: هو لله عليَّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدا، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة فقالت: لا والله لا أشفع فيه أبدا ولا أتحنث إلى نذري فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وهما من بني زهرة وقال لهما أنشدكما بِالله لما أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحل لها أَن تنذر قطيعتي، فأقبل به الْمِسْوَرُ وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل؟ قالت عائشة رضي الله عنها: ادخلوا، قالوا كلنا. قالت: نعم ادخلوا كلكم. ولا تعلم أنّ معهما ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي وطفق المِسْوَرُ وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبِلت منه ويقولان إنّ النبي . ﷺ . نهى عما قَد علمت من الهجرة فإنّه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما نذرها وتبكي وتقول: إنّي نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أَربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها".([2])

5. بين العائلات:

---

[1]) البخاري.

[2]) البخاري.

وما أكثره في القرى والنجوع عن أنس ﷺ قال: قيل للنبي . ﷺ ـ لو أتيت عبد الله بن أُبَيّ فانطلق إليه النبي . ﷺ ـ وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي قال: إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك.فقال رجل من الأنصار منهم:والله لحمار رسول الله أطيب ريحا منك. فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها أنزلت:{وإن طائِفتان من المؤمنين اقتتلوا فأَصلحوا بينهما}([1]) والأحداث كثيرة والأمثلة عديدة وليس هذا مجال ذكرها.

6. في الأموال والدماء:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي . ﷺ .: اشترى رجل من رجل عقارا له فوجد الرّجل الذي اشترى العقار في عقاره جَرَّة فيها ذهب فَقَال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذَهب، فقَال الذي اشترى الأرض: إنّما بعتك الأرض وما فيها، قال: فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام وقال الآخر: لي جارية قال أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقا".([2])

7. في النزاع والخصومات:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع صوت خصوم بالباب عالية أصواتهم، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء وهو يقول: والله لا أفعل فخرج عليهما: فقال أين المتألي على الله لا يفعل المعروف؟ فقال:

---

[1]) البخاري.

[2]) مسلم.

obeikandl.com

أنا يا رسول الله، فله أي ذلك أحب".([1])

**شروط المصلح

الإصلاح عزيمة راشدة، ونية خيرة، وإرادة مصلحة، والأمة تحتاج إلى إصلاح يدخل الرضا على المتخاصمين، ويعيد الوئام إلى المتنازعين، إصلاح تسكن به النفوس وتأتلف به القلوب، ولا يقوم به إلا عصبة خيرة من خلق الله، شرفت أقدارهم، وكرمت أخلاقهم، وطابت منابتهم، وللإصلاح فقه ومسالك دلت عليها نصوص الشرع وسار عليها المصلحون المخلصون، ومنها:

1. استحضار النية الصالحة وابتغاء مرضاة الله جل وعلا {.... وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}النساء:114.

2. تجنب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية فهي مما يعيق التوفيق في تحقيق الهدف المنشود.

3. لزوم العدل والتقوى في الصلح، لأن الصلح إذا صدر عن هيئة اجتماعية معروفة بالعدالة والتقوى وجب على الجميع الالتزام به والتقيُّد بأحكامه إذعاناً للحق وإرضاء للضمائر الحية {... .....فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}الحجرات:9.

4. أن يكون المصلح عاقلا حكيما منصفاً في إيصال كل ذي حق إلى حقه مدركا للأمور متمتعا بسعة الصدر وبُعد النظر مضيقا شقة الخلاف والعداوة، محلا المحبَّة والسلام.

5. سلوك مسلك السر والنجوى، ولئن كان كثير من النجوى مذموماً إلا أنه في هذا الموطن محمود:{لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ

[1]) البخاري.

أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}النساء:114.

6. الحذر من إفشاء الأحاديث وتسرب الأخبار والتشويش على الفهوم مما يفسد الأمور المبرمة والاتفاقيات الخيرة، لأن من الناس من يتأذى من نشر مشاكله أمام الناس، وكلما ضاق نطاق الخلاف كان من السهل القضاء عليه.

7. اختيار الوقت المناسب للصلح بين المتخاصمين حتى يؤتي الصلح ثماره ويكون أوقع في النفوس.

8. أن يكون الصلح مبنيا على علم شرعي يخرج المتخاصمين من الشقاق إلى الألفة ومن البغضاء إلى المحبة

9. التلطف في العبارة واختيار أحسن الكلم في الصلح ولما جاء بيت فاطمة فلم يجِد عليًّا في البيت فقال: أَين ابن عمك؟ وفيه دليل على الاستعطاف بذكر القرابة.

10. استحباب الرفق في الصلح وترك المعاتبة إبقاء للمودة، لأن العتاب يجلب الحقد ويوغر الصدور، وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري: رد الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن"

11. ابدأ بالجلسات الفردية بين المتخاصمين لتليين قلبيهما إلى قبول الصلح مع الثناء على لسان أحدهما للآخر.

12. وأخيرا.. الدعاء بأن يجعل الله التوفيق حليفك وأن يسهل لك ما أقدمت عليه مع البراءة إليه سبحانه من قوتك وقدرتك وذكائك وإظهار العجز والشدة والحاجة إليه للتأييد والتوفيق.

**الكذب في الإصلاح.

1. عن أم كلثوم بِنت عقبة بن أبي معيط وكانت من المهاجرات الأول التي بايعن أخبرته أنها سمعت وهو يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناسِ فينمي "بدون تشديد بمعنى نقل ما فيه خير وصلاح وبالتشديد الإفساد" خيرًا أو يقول خيرًا".([1])

2. قال بن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: "الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها".([2])

** أعدل الصلح.

قال ابن القيم رحمه الله " فالصلح الجائز بين المسلمين هو يعتمد فيه رضي الله سبحانه ورضي الخصمين، فهذا أعدل الصلح وأحقه، وهو يعتمد العلم والعدل، فيكون المصلح عالما بالوقائع، عارفا بالواجب، قاصدا العدل، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم".([3])

إن المكارم كلها لو حصلت..... رجعت جملتها إلى شيئين

تعظيم أمر الله جل جلاله ..... والسعي في إصلاح ذات البين

*****

المبحث الرابع: فضل صلة الأرحام:ـ

الحمد لله ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . ﷺ. أما بعد:

آه من هذا الذي ذابت في النداء به أَلسن، وبريت أقلام، وتمزقت أوراق، ودونت خطب إنها صلة الرحم، والرحم صلتها واجبة، ولا يجوز قطعها هذا كما قال الله عز وجل:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا

---

[1]) البخاري.

[2]) البخاري.

[3]) أعلام الموقعين (1 / 109 . 110)

obeikandl.com

أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} **محمد22-23**. وهو المبالغة في قطع الأرحام، فذكر هذه العقوبات، وهذا الوعيد في قطع الرحم. لكن مراتب الرحم كثيرة، وتختلف وأعظمها صلة الوالدان ثم من يليهم، وجاء في هذا المعنى أخبار كثيرة،

وقال ـ ﷺ ـ : " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر".([1])

والأحاديث والأخبار في هذا المعنى عن النبي ـ ﷺ ـ متواترة كثيرة، ولهذا عظم أهل العلم، هذا الشأن وبينوه وبينوا أن أعظم الصلة هي صلة الدين، وأعظم الرحم هي رحم الدين، وإذا كانت الرحم توصل وأن أجرها عظيم، فرحم الدين أعظم من رحم الولادة، ولهذا قطعت الصلة بين المسلم والكافر ولا صلة بينه وبينه، ولو كان ابنه، وكانت الصلة بين الرجلين، والرجل والمرأة، والمرأة والمرأة، ولو كانا متباعدين في بلديهما وفي جنسهما، لأنه تجمعهما أخوة الدين والإيمان:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} وهي أعظم الرحم رحم الدين، وإذا اجتمعت مع القرابة كانت أتم وأتم وأعظم.

وأحاديث النبي ـ ﷺ ـ كذلك، رغبت فيها أعظم الترغيب، وكان الترغيب دينياً ودنيوياً، ولا شك أن المجتمع الذي يحرص أفراده على التواصل والتراحم يكون حصناً منيعاً، وقلعة صامدة، وينشأ عن ذلك أسر متماسكة، وبناء اجتماعي متين يمد العالم بالقادة، والموجهين، والمفكرين، والمعلمين، والدعاة، والمصلحين الذين يحملون مشاعل الهداية، ومصابيح النور إلى أبناء أمتهم، وإلى الناس أجمعين.

---

[1]) **صحيح الجامع برقم (2965)**

obeikandl.com

والمراد بالرحم: الأقارب في القول والفعل، ويدخل في ذلك زيارتهم، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، ومساعدة المحتاج منهم، والسعي في مصالحهم.

بعض فضائل صلة الرحم:

1- صلة الرحم من الإيمان:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال . ﷺ .:" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت".([1]) أمور ثلاثة تحقق التعاون والمحبة بين الناس وهي:إكرام الضيف وصلة الرحم والكلمة الطيبة.

وقد ربط الرسول . ﷺ. هذه الأمور بالإيمان فالذي يؤمن بالله، واليوم الآخر لا يقطع رحمه، وصلة الرحم علامة على الإيمان.

2- صلة الرحم سبب للبركة في الرزق والعمر:

ما من أحد من الناس إلا ويحب أن يوسع لهم في الرزق، ويؤخر له في الآجل لأن حب التملك، وحب البقاء غريزتان من الغرائز الثابتة في نفس الإنسان، فمن أراد ذلك فعليه بصلة أرحامه.

والمرء ما عاش ممدود له أثر.....لا ينقضي العمر حتى ينتهي الأثر

أولا: لا ينتهي الأثر حتى ينقضي العمر.، كما قال زهير بن أبي سلمى، والأثر يتبع العمر، والإنسان ما دام حي ويمشي فأثره يتبع عمره، فإذا انقضى العمر انقطع الأثر،ولذا قال:"وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه.

وهذا فيه فضل صلة الرحم بل وجوبها.

---

[1]) البخاري.

obeikandl.com

عن أنس ﷺ قال: قال . ﷺ .: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه".([1])

عن علي ﷺ عن النبي . ﷺ . قال: من سره أن يمد له في عمره، ويوسع له في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء، فليتق الله وليصل رحمه ".([2])

من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه من حديث عائشة –رضي الله عنها– وعند أحمد أنه . ﷺ . قال:"صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار".([3])

وهذا مشاهد ممن كان بينهم صلة وتواصل فإن له أثر عليهم في أموالهم، وفي أعمارهم، ولو كانوا مقصرين، بل جاء في بعض الأخبار أنهم ولو كانوا عندهم شيء من الفجور فإنهم يبارك لهم في أموالهم وأعمارهم، وإن كانوا مؤاخذين من جهة أخرى. قوله:وأن ينسأ له في أثره اختلف العلماء فيه على معاني قيل: هو البركة في الوقت، والبركة في المال، والبركة في الذكر الطيب بعد وفاته، وقيل: إنه على ظاهره وأنه يزاد في عمره حقيقة، وهذا أظهر أنه يزاد في عمره، فلو أن إنسانا يصل رحمه، أو أن إنسانا لا يصل رحمه، فإن عمره يكون هذا القدر، وإنسان آخر يصل رحمه يكون عمره أكثر منه. وهذا كما ذكر العلماء في صحف الملائكة، فإن صحف الملائكة عندهم أن الله يأمر يقول: إن وصل فلان رحمه فاجعلوا له مثلا من العمر ثمانين سنة تسعين سنة، مائة سنة، اجعلوا له مثلا مائة سنة، وإن لم يصل رحمه فاجعلوا له ثمانين سنة، أو إن وصل رحمه فاجعلوا له ثمانين، إن لم يصل رحمه فاجعلوا له ستين.فالذي في صحف الملائكة هو

---

[1]) البخاري.

[2]) البزار والحاكم.

[3]) الصحيحة برقم(519)

الذي يتغير، والله عز وجل لا يتغير ما في علمه، ويعلم فلان ماذا يعمل وهو عليه قوله:{ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} ومنه هذا على أحد القولين، واختلف العلماء هل في أم الكتاب هل فيه محو أو هو خاص بصحف الملائكة على قولين لأهل العلم، لكن صحف الملائكة، يأتي فيها المحو وهم يراقبون هذا فإن وصل رحمه، جعلوا له من العمر هذا الشيء وقبضوه على هذا القدر؛ لأن الله أمرهم، وإن لم يصل رحمه، يقبضونه على القدر الذي أمرهم الله، والله عز وجل يعلم حال هذا هل يصل رحمه، أو لا يصل رحمه، وهذا هو أظهر القولين لظاهر الخبر كما تقدم نعم إن لصلة الأرحام الفضل والمكانة العظيمة التي جعلت آيات القرآن الكريم تدعو إليها.

3- صلة الرحم سبب لصلة الله تعالى وإكرامه:

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ - أنه قال:الرحم متعلقة بالعرش تقول:"من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله".([1])

وأخبر ﷺ: "أن الرحم معلقة بالعرش، وأنها أخذت بحقو الرحمن، وقالت: هذا مقام العائذ بكَ من القطيعة، قال: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك".([2])

وقال النبي ﷺ - فيما رواه الشيخان من حديث أبي هريرةرضي الله عنه، ومن حديث عائشة أنه ﷺ قال: "الرحم شجنة من الرحمن قال: "أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك". يقال: شُجنة وشِجنة، والشِجنة يعني العروق المشتبكة في الشجرة، يعني في اتصالها، وشدة ارتباطها جعلها كالعروق

---

[1]) رواه مسلم.

[2]) متفق عليه.

obeikandi.com

المشتبكة، وأن من قطعها فهو مقطوع منه سبحانه وتعالى وذلك أنها من أعظم الصلات به سبحانه وتعالى هو صلة الرحم.

وقد استجاب الله الكريم سبحانه، لها فمن وصل أرحامه وصله الله بالخير، والإحسان، ومن قطع رحمه تعرض إلى قطع الله إياه، وإنه لأمر تتخلع له القلوب أن يقطع جبار السماوات، والأرض عبدًا ضعيفاً فقيراً.

4- صلة الرحم من أسباب دخول الجنة:

فعن النبي . ﷺ . أنه قال:"يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام".([1]) بل ثبت في الصحيحين من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ عن خالد بن زيد أن رجلا جاء إلى النبي . ﷺ . وكان أصحابه حوله، ثم شق الصفوف إليه ثم قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: "تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم "وتصل الرحم"" نص على صلة الرحم.

5- من محاسن الإسلام .

6- مما اتفقت عليه الشرائع.

7- دليل على كرم النفس، وسعة الأفق.

8- سبب لشيوع المحبة، والترابط بين الأقارب.

9- ترفع من قيمة الواصل.

10- صلة الرحم تعمر الديار.

11- صلة الرحم تيسر الحساب.

12- صلة الرحم تكفر الذنوب والخطايا.

---

[1]) **أحمد والترمذي وابن ماجه.**

obeikandl.com

13- صلة الرحم تدفع ميتة السوء.

**الصلة الحقيقية أن تصل من قطعك:

المرء إذا زاره قريبه فرد له زيارته ليس بالواصل، لأنه يكافئ الزيارة بمثلها، وكذلك إذا ساعده في أمر وسعى له في شأن، أو قضى له حاجه فردّ له ذلك بمثله لم يكن واصلاً بل هو مكافئ، فالواصل حقاً هو الذي يصل من يقطعه، ويزور من يجفوه ويحسن إلى من أساء إليه من هؤلاء الأقارب.

عن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها".([1])

وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله إنّ لي قرابة أصلهم، ويقطعونني ، وأحسن إليهم، ويسيئون إليّ، وأحلم عليهم، ويجهلون عليّ فقال ﷺ: "إن كنت كما قلت فكأنما تُسِفهّم المَلّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك". ([2])

والمَلّ: الرماد الحار، قال النووي: يعني كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه وإدخال الأذى عليه.

ففي الحديث عزاء لكثير من الناس الذين ابتلوا بأقارب سيئين يقابلون الإحسان بالإساءة ويقابلون المعروف بالمنكر فهؤلاء هم الخاسرون.

آداب تساعد على الصلة:

1- استحضار فضل الصلة، وقبح القطيعة .

---

[1]) رواه البخاري.

[2]) مسلم.

2- الاستعانة بالله على الصلة .

3- توطين النفس وتدريبها على الصبر على الأقارب والحلم عليهم .

4- قبول أعذارهم إذا أخطأوا واعتذروا.

5- الصفح عنهم ونسيان معايبهم ولو لم يعتذروا .

6- التواضع ولين الجانب لهم .

7- بذل المستطاع لهم من الخدمة بالنفس والجاه والمال.

8- ترك المنة عليهم ، والبعد عن مطالبتهم بالمثل .

9- الرضا بالقليل منهم .

10- مراعاة أحوالهم ، ومعرفة طبائعهم ، ومعاملتهم بمقتضى ذلك .

11- إنزالهم منازلهم .

12- ترك التكلف معهم ، ورفع الحرج عنهم

13- تجنب الشدة في معاتبتهم إذا أبطأوا .

14- تحمل عتابهم إذا عاتبوا، وحمله على أحسن المحامل .

15- الاعتدال في المزاح معهم .

16- تجنب الخصام، وكثرة الملاحاة والجدال العقيم معهم .

17- المبادرة بالهدية إن حدث خلاف معهم.

18- أن يتذكر الإنسان أن الأقارب لحمة منه لابد له منهم، ولا فكاك له عنهم.

19-أن يعلم أن معاداتهم شر وبلاء، فالرابح في معاداة أقاربه خاسر،والمنتصر مهزوم

20- الحرص على ألا ينسى أحداً منهم في الولائم قدر المستطاع.

21- الحرص على إصلاح ذات البين إذا فسدت.

22- تعجيل قسمة الميراث.

obeikandl.com

23- الاجتماعات الدورية.

24- تكوين صندوق للأسرة.

25- الحرص على الوئام والاتفاق حال الشراكة .

26- يراعي في ذلك أن تكون الصلة لله وحده، وأن تكون تعاوناً على البر والتقوى، ولا يقصد بها حمية الجاهلية الأولى.

قطع الأرحام

إنّ الإساءة إلى الأرحام، أو التهرب من أداء حقوقهم صفة من صفات الخاسرين الذين قطعوا ما أمر الله به أن يوصل بل إن ذلك جريمة وكبيرة من كبائر الذنوب. وإن الإنسان منا ليسوؤه أشد الإساءة ما يراه بعينه أو يسمعه بأذنيه من قطيعة لأقرب الأرحام الذين فُطر الإنسان على حبهم وبرهم وإكرامهم، حتى أصبح من الأمور المعتادة أن نسمع أن أحد الوالدين أضطر إلى اللجوء للمحكمة لينال حقه من النفقة أو يطلب حمايته من ابنه، هذا الذي كان سبب وجوده.

ولا يفعل مثل هذا الجرم إلا الإنسان الذي قسا قلبه وقلت مروءته وانعدم إحساسه بالمسؤولية.

وإن كان للقطع أسباب منها:

1- الجهل.

2- ضعف التقوى.

3- الكبر.

4- الانقطاع الطويل الذي يسبب الوحشة والنسيان.

5- العتاب الشديد من بعض الأقارب مما يسبب النفرة منه.وقديما قالوا: كثرة العتاب توغر قلوب الأحباب.

6- التكلف الزائد، مما يجعل الأقارب لا يحرصون على المجيء إلى ذلك الشخص، حتى لا يقع في الحرج .

7- قلة الاهتمام بالزائرين من الأقارب.

8- الشح والبخل من بعض الناس، ممن وسع الله عليه في الدنيا.

9- تأخير قسمة الميراث بين الأقارب .

10- الشراكة المبنية على المجاملة بين الأقارب .

11- الاشتغال بالدنيا.

12- الطلاق بين الأقارب.

13- بُعْد المسافة والتكاسل عن الزيارة .

14- قلة تحمل الأقارب.

15- الحسد فيما بينهم.

16- نسيانهم في الولائم، مما يسبب سوء الظن فيما بينهم .

17- كثرة المزاح .

18- الوشاية والإصغاء إليها.

عقوبة قاع الرحم:

أ. قاطع الرحم ملعون في كتاب الله:

قال الله تعالى:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ{22}أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}**محمد:22-23**.

قال على بن الحسين لولده: يا بني لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواطن: قال الله تعالى{..وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ{26}الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}**البقرة:26-27**.

obeikandl.com

فقد جعل الله من صفات الفاسقين الخاسرين الضالين قطع ما أمر الله به أن يوصل ومن ذلك صلة الأرحام.

ب . قاطع الرحم تعجل له العقوبة في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى:

عن أبي بكر ﷺ عن النبي . ﷺ . أنه قال: "ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه بالعقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم".([1])

وقد رأينا مصداق هذا في دنيا الواقع، فقاطع الرحم غالباً ما يكون تعباً قلقاً على الحياة، لا يبارك له في رزقه، منبوذاً بين الناس لا يستقر له وضع ولا يهدأ له بال.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله . ﷺ .: "إنّ الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة: قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت: بلى قال: فذلك لك ".([2])

وما أسوأ حال من يقطع الله.. ومن قطعه الله فمن ذا الذي يصله.

*****

المبحث الخامس:فضل الهدية:ـ

الحمد لله ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . ﷺ . أما بعد:

الهدية لها تأثير عجيب فهي تذهب بالسمع والبصر والقلب، وما يفعله الناس من تبادل الهدايا في المناسبات وغيرها أمر محمود بل ومندوب إليه على أن لا يكلف نفسه إلا وسعها، قال إبراهيم الزهري:خرجت لأبي جائزته فأمرني أن أكتب خاصته وأهل بيته ففعلت، فقال لي تذكر هل بقي أحد أغفلناه؟

---

[1]) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

[2]) رواه البخاري.

قلت لا قال بلى رجل لقيني فسلم علي سلاماً جميلاً صفته كذا وكذا، اكتب له عشرة دنانير.

فهي سنة إسلامية وسبب عظيم للتآلف بين القلوب وشيوع المودة بين المسلمين وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم قال تعالى:{وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ{35} فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ{36}**النمل:35، 36.**

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي . ﷺ ـ كان يقبل الهدية ويثيب عليها ونهى . ﷺ ـ عن رد الهدية حتى لا توغر الصدور فقال . ﷺ ـ:"أجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين".([1])

والهدية إذا كانت خالصة لله، وأبتغى بها وجه الله لها عظيم الفضل والأثر على العلاقات الإنسانية عامة، والعلاقات بين المسلمين خاصة.

ومن هذه الفضائل:ـ

1. سبب للمحبة والتآلف:

التي هي من أسباب دخول الجنة عن أبى هريرة ﷺ:أن رسول الله . ﷺ ـ قال: "تهادوا تحابوا".([2])

الهدية عنوان لتألف القلوب وراحة النفوس.

إن الهدية حلوة **كالسحر يجتذب القلوبا

تدنى البعيد من الهوى**حتى تصيره قريبا

وتعيد مضطغن العدا**وة بعد بغضته حبيبا

---

[1]) صححه الألباني صحيح الجامع برقم(158)

[2]) البخاري في الأدب المفرد إرواء الغليل(44/6)

obeikandl.com

إن الهدية سبب عظيم للتآلف بين القلوب وشيوع المودة بينهم وقد جاء في القرآن ذكر الهدية قال تعالى على لسان بلقيس:{وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}النمل:35.

وعن أبى هريرة ﷺقال: قال رسول الله . ﷺ .: "لو دعيت إلى كراع "رأس الشاة" أو ذراع لأجبت، ولو أهدى إلى كراع لقبلت".([1])

هدايا الناس بعضهم لبعض**تولد في قلوبهم الوصالا

وتزرع في الضمير هوى وودا**وتكسوك المهابة والجلالا

مصايد للقلوب بغير لغب***وتمنحك المحبة والجمالا

2. من هدى رسول الله . ﷺ. والصحابة الكرام عليهم سحائب الرضوان:

عن عائشة رضي الله عها:أن النبي . ﷺ. كان يقبل الهدية ويثيب عليها".

وقد قال رسول الله . ﷺ . آمرا بقبول الهدية وعدم ردها: "أجيبوا الداعي ولا تردوا الهدية ولا تضربوا المسلمين".([2])

وقال ابن مسعودﷺ: قال رسول الله . ﷺ.: "لا تردوا الهدية".([3])

وقد أمر رسول الله . ﷺ . عمر بن الخطاب ﷺ بقبول الهدية وعدم ردها وذلك حين أمر أن يأخذ مالا، فقال له: "يا رسول الله أعطه من هو أفقر منى.قال:" خذه إذا جاءك شيء من هذا المال، وأنت غير مشرف"متطلع"ولا سائل، فتموله "أي تمكله"فإن شئت كله وإن شئت تصدق به".([4])

ودخل النبي . ﷺ. يوما على عائشة رضي الله عنهما وكان على النار برمه تفور، فدعا بالغداء، فأتى بخبز وأدم لكنه من أدم البيت فقال: "ألم أر

---

[1]) البخاري ومسلم.

[2]) صحيح سنن أبى داود(3536)

[3]) الإرواء برقم(1616)

[4]) صحيح المسند برقم(224/1)

obeikandl.com

لحما؟" قالوا: بلى يا رسول الله..ولكنه لحم تصدق به على بريرة وكانت مولاة عائشة فأهدتها، فقال رسول الله . ﷺ .:"هو صدقة عليها هدية لنا "(وكان رسول الله . ﷺ. لا يأكل الصدقة".([1])

وكان انس بن مالك ﷺ يقول لابنه: يا بني تبادلوا فيما بينكم فإنه أود لما بينكم.

الرجوع في الهدية:

لا يجوز الرجوع في الهدية لقول النبي . ﷺ.: "العائد في هبته كالعائد في قيئه".قال قتادة: ولا نعلم القيء إلا حراما.([2])

هل يجوز قبول هدية غي المسلم؟

أباح الإسلام قبول هدية غير المسلم ففي صحيح مسلم أن أكيدر صاحب دومة الجندل أهدى إلى النبي ثوبا حريرا فأعطاها عليا بن أبي طالب ﷺوأهدى المقوقس إلى النبي . ﷺ. جرة من عسل فقسمها بين أصحابه.

المبحث السادس: فضل صنائع المعروف:ـ

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المصطفي المختار، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الأطهار، وعلى جميع أصحابه الأخيار، ومن سار على نهجهم ما أظلم الليل وأضاء النهار. أما بعد:

فإنّ الله تعالى إذا أحب عبداً من عباده شرح صدره لطاعته، فإذا أراد أن يتمم عليه نعمته وأن يكمل عليه منته تممها وكملها بمكارم الأخلاق، يوم يصير للخيرات سباقاً، ولطاعة ربه ورحمته توَّاقاً ومشتاقاً، يوم يصير مفتاحاً من مفاتيح الخيرات، وسبباً من أسباب الرحمات، يوم يفرج الله به هموم

---

[1]) البخاري.

[2]) صحيح سنن أبى داود برقم(3540)

obeikandi.com

المسلمين وغمومهم يوم يفرج الله به كربات المكروبين، ويرحم به المعذبين، ويغني به الفقراء والبائسين، يوم يجعله الله جل وعلا رحمة من رحماته، حين يملأ قلبه عطفاً على المسلمين، ورحمةً بهم ومواساة للمحتاجين. إنها صنائع المعروف التي اصطفي الله لها رجالاً واختار لها على مر العصور والدهور أجيالاً، يوم جعلهم مفاتيح الخيرات والرحمات، فعاشوا في هذه الحياة بالذكر الجميل والعمل الصالح الجليل، وخرجوا من الدنيا والله راض عنهم غير غضبان، يوم أصبحوا نعمة على العباد لا نقمة عليهم، أصبح الواحد منهم مسلماً لله منقاداً مطيعاً مستسلماً ما إن يسمع رحمة من الرحمات ولا باباً من أبواب الخيرات إلا كان إليه سباقاً طالباً له ومشتاقاً، إنها الرحمة التي أسكنها الله قلوب الرحماء ولم تدخل الرحمة إلى قلب عبد من عباد الله، إلا أهله الله لرحمته، فالله يرحم من عباده الرحماء والله يحلم على الحلماء، وييسر على الذين ييسرون على عباده، ويرفق بمن رفق بخلقه وعبيده. إنها أبواب الخيرات، وأبواب الطاعات والرحمات التي يحقق بها المسلم إسلامه، التي يحقق بها المؤمن طاعته لربه والتزامه، إنها الاستقامة الصالحة، إنها الاستقامة الصادقة، يوم يتفطر قلب العبد شوقاً وحنيناً إلى رحمة من رحمات الله، وما يدريك فلعل دمعة اليتيم التي كفكفتها يكفكف الله بها دموعك في الحشر، وما يدريك عن هذه الكربة من أرملة من أرامل المسلمين فرجتها عنها فلعل الله أن يفرج عنك بها كربة من كرب يوم الدين، في يوم شديد الأهوال، في يوم تشيب منه ذوائب الأطفال، في يوم تضع فيه الأثقال ذوات الأحمال.

إنه ما شرح الله صدر عبد من عباده لهذه الخيرات إلا جعله من أحب الخلق إليه، ومن أكرمهم وأعظمهم زلفي لديه، لذلك كان من أجل نعم الله بعد الهداية أن يشرح صدر الإنسان لصنع المعروف. صنائع المعروف وما

أدراك ما صنائع المعروف؟ التي يخط بها العبد الصالح في دواوين الصالحات تلك الحسنات العظيمة. صنائع المعروف وما أدراك ما صنائع المعروف؟ التي غفر الله بها الذنوب، وستر بها العيوب وفرج بها الهموم والغموم والكروب، فيا لله من أقوام عاملوا الله جل وعلا بهذه الأعمال الصالحة، خرجوا وقد ملئت دواوين أعمالهم بالحسنات الباقية، إنه الأجر الذي يتقدم الإنسان إلى الدار الآخرة، إنها مزارع الآخرة التي يحصدها الإنسان في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. لذلك أيها الأحبة في الله! كل مؤمن صالح ينظر في كتاب الله أو يقرأ في سيرة النبي . ﷺ ـ يجد تلك الأبواب أمام عينيه مفتحة، يجد أمام عينيه الخيرات مؤهلة، تلك الخيرات وتلك الرحمات التي ندب الله إليها الصالحين والصالحات، فقال في كتابه:{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} البقرة:148.

قواعد وأسس في صنائع المعروف

القاعدة الأولى: امتلاك القلب الرقيق.

القاعدة الثانية:والتي لا يمكن للإنسان أن يكون من أهل المعروف إلا بها: أن يرزق الله العبد قلباً رقيقاً، القلب الرقيق الذي يفتحه العبد الصالح لهموم المسلمين وغمومهم، لن تستطيع أن تدخل تلك الأبواب التي فيها الرحمات وفيها عظيم الأجور والحسنات إلا بقلب رحيم بعباد الله المسلمين، إنها الرحمة التي قال الله جل وعلا يخاطب بها نبيه{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}آل عمران:159.

أن يكون عند الإنسان قلب رقيق، قلب إذا جاءه المهموم بهمه لا يتحمل أن تفيض عيناه، وكأنه صاحب شكواه. أن يكون عند الإنسان قلب يعيش أشجان المسلمين وأحزانهم، فإذا جاءه المكروب بكربه، أو جاءه المهموم بهمه، أو المغموم بغمه فتح له ذلك القلب الرقيق الرحيم؛ حتى تهون على

صاحبه الدنيا فيشتري بها رحمه الله جل جلاله. أن يكون عند الإنسان قلب يعطف على المسلمين ويرحم المسلمين، ولذلك قال . ﷺ .:"الراحمون يرحمهم الله" الراحمون أي: الذين أكرمهم الله جل وعلا بلين القلوب، والعطف على عباد الله، والشفقة على خلق الله جل جلاله، فليكن الإنسان رحيماً بعباد الله. إذا أتاك المهموم، أو صاحب الحاجة، أو المغموم فاعلم أن له فضلاً عليك يوم اختارك من بين الناس لهمه وغمه.

ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما سألني صاحب حاجة حاجته إلا اعتقدت الفضل له أن اختارني من بين الناس".

اختارك من بين الناس لحزنه، واختارك من بين الناس لهمه وغمه، فأعطه من الحنان وأعطه من الرحمة والإحسان فوق ما يرجوه منك. فإذا رزق الله الإنسان إخلاص العمل ورزقه قلباً رقيقاً بعباد الله رحيماً رفيقاً؛ تهيأت له أبواب الخيرات وتيسرت له سبل المكرمات جعلنا الله وإياكم منهم.

إخلاص العمل لله جل جلاله

أول قاعدة في صنائع المعروف وأساسها وأعظمها والتي يبارك الله بها: إخلاص العمل لله جل جلاله، فأول ما ينبغي على العبد الذي يريد أن يجعله الله جل وعلا صانعاً للمعروف المقبول أن يخلص لله جل جلاله، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، أن ينفق الإنسان وتسح يمينه بالخيرات آناء الليل وأطراف النهار، يشتري بذلك رحمة الله جل جلاله، لا ينفق رياءً ولا سمعةً ولا ثناءً، ولكن يريد رحمة الله، يريد ما عند الله، كما قال الله جل جلاله:{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً}**الإنسان:9-11**. اللهم إنا نسألك أن تجعلنا منهم.

أن تنفق يوم تنفق والآخرة أمام عينيك، أن تنفق يوم تنفق ومزارع الجنة كأنها أمام ناظريك، أن تشتري رحمة الله بكل مالٍ تُعطيه ولكل فقير تواسيه، أن تشتري رحمة الله

بقلب لا يريد إلا ما عند الله جل جلاله، ما كان لله دام وبقي.. ما كان لله نفع العبد في الدنيا وفي الآخرة. فينبغي على الإنسان إذا فتح أبواباً من أبواب الخير، أو أوقفه الله جل وعلا أمام باب من أبواب الخير أن يفكر أول ما يفكر في المتاجرة مع الله. إن المتاجرة مع الله باقية، وهي الصدقة الطيبة الخالدة التي يثيب الله صاحبها عليها في الدنيا والآخرة إخلاص العمل لله. وكم من عامل أحبط الله عمله بالرياء! وكم من عامل أحبط الله عمله بالثناء! فاشترِ ما عند الله جل وعلا، فإن الثناء كل الثناء من الله، وإن أعظم ما ينتظره العبد رضوان الله جل جلاله، ولذلك ورد في الحديث وإن كان قد تكلم بعض العلماء على إسناده ولكنه عبرة وعظة ومعناه صحيح:"أن العبد إذا أقامه الله يوم القيامة وذكره أعماله الصالحة، قيل له: قرِّب، فيقرب أعماله، فيقول الله: ما تقبلت منها شيئاً". نسأل الله السلامة والعافية.

وجاء في رواية أن الله تعالى يقول له:"اذهب فخذ أجرك ممن رائيته". اذهب وخذ الحسنات والأجور من ثناء الناس، خذ ما تريد من مدح الناس، خذ ما تريد من ذكر الناس، فاليوم لمن أراد الله والدار الآخرة، اشتر رحمة الله فإنها باقية خالدة.

أبواب صنائع المعروف

أما صنائع المعروف فهي أبواب عظيمة وكثيرة، ولذلك قال الله في كتابه: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ}البقرة:**148**. فليست باباً واحداً، ولكنها أبواب كثيرة يعيشها المسلم مع هموم وغموم المسلمين لا يعلمها إلا الله جل جلاله، فلا تقتصر على إنفاق الأموال، ولا تقتصر على ستر العورات وتفريج الكربات، ولكنها تعيش مع المسلم في كل خير وطاعة أمر الله بها ورسوله . ﷺ . ، كل خير يحبه الله ويحبه ذو نفعٍ متعدٍ فإنه من صنائع المعروف. .....

أ. إعانة المكروب:

ومن صنائع المعروف إعانة المكروب عند كربه، وذلك يكون بأمور كثيرة تختلف باختلاف الناس، باختلاف الأزمنة والأمكنة، فكل ذي حاجة جاءك في حاجته فأعنه على تلك الحاجة التي لا تغضب الله، فذلك من صنيع المعروف الذي يحبه الله جل جلاله، ويشمل ذلك ما كان بالأموال، وما كان بالجاه من الشفاعة الحسنة التي لا تحول بين حد من حدود الله، يوم يأتيك عبدٌ ضعيف يريد من جاهك أن تشفع شفاعة لا يؤثر بها على ذي حق، ولا يتوصل بها إلى مظلمة فتلك من الشفاعات المباركة. وقال بعض العلماء: من زكاة الجاه والذكر الجميل، أن يسعى الإنسان في تفريج كربات الناس بذلك الجاه، من شكر نعمة الله بالجاه أن تبذله في تفريج الهموم وتفريج الغموم بالشفاعة الحسنة قال الله تعالى:{مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا}النساء:85.

الشفاعة الحسنة التي تعين على إيصال الخير للناس وتفريج الهموم والغموم عن عباد الله من صنائع المعروف.

ب . مواساة المصابين والمكلومين:

ومن صنائع المعروف التي يحبها الله جل علا: مواساة المصابين والمكلومين، فإنّ الإنسان إذا سمع عن أخيه أنه أصيب بمصيبة في نفسه، أو أهله، أو ولده؛ فعليه أن يؤهل نفسه لكي يقترب منه، فيذكره بحسن الثواب، وحسن العاقبة عند الله والمآب، علَّ ذلك يكون سبباً في صبره وسلوانه وعظم أجره عند ربه، فتثبيت القلوب عند الكربات وتثبيت القلوب عند المصائب من صنائع المعروف. فالمسلم يحتاج من أخيه إذا نزلت به ضائقة أن يواسيه ويسليه، يحتاج من أخيه إذا نزل به همٌّ وغمٌّ أن يثبته، فإن القلوب إذا نزلت بها المصائب تزلزلت، إلا أن يثبتها الله جل وعلا من

عنده، فإذا جاء العبد الصالح وذكّر أخاه بما عند الله من الأجر والمثوبة كان ذلك من أعظم المعروف الذي يسديه إليه.

ج . الصلح بين الناس:

ومن صنائع المعروف: الصلح بين الناس إذا تقاطعوا، والصلح بين الناس إذا تهاجروا، وقطع أسباب الضغائن والشحناء، وقطع أسباب الفتن والبغضاء، فإنها من أعظم الأمور المقربة إلى الله جل وعلا، والتي شهد الله من فوق سبع سماوات أنها خير النجوى، قال سبحانه وتعالى:{لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}النساء:114. إنها لخطوات عزيزة عند الله يوم تسعى في لمِّ شملٍ قد تفرق.. يوم تسعى لجمع قلوب المؤمنين، فما أحوج الناس إذا وقعت بينهم الخصومات والنزاعات إلى من يجمع شملهم.. إلى من يؤلف بين قلوبهم.. إلى من يقطع سبيل الشياطين عنهم.. إلى من يقف معهم لكي يذكرهم بما في العفو من الأجر عند الله جل جلاله! فلذلك كان من أحب الأعمال إلى الله: السعي بالصلح بين الناس.. الصلح بين الزوجين.. الصلح بين المتخاصمين، فلا تعلم بقطيعة بين مسلم ومسلم إلا أهّلت نفسك للصلح بينهم، فإن الله يشكر خطوات الصلح ويحب أهلها ويثني عليهم كما أخبر الله جل وعلا بحسن الأجر لهم، وأن من احتسب أجره وثوابه عند الله أن الله يؤتيه أجراً عظيماً.

د . الدعوة إلى الله:

إن أعظم معروف تبذله إلى الناس وأعظم خير تبذله إلى خلق الله الدعوة إلى الله جل جلاله، تقريب القلوب إلى الله وتحبيب عباد الله في الله أعظم ما يكون من الخير والمعروف، يوم ينقذ الله بك حائراً.. يوم يهدي الله بك

ضالاً تائهاً.. يوم تأخذ إنساناً غريباً عن ربه بعيداً عن طاعته، فتأخذ بمجامع ذلك القلب إلى الله، فما ركع ركعة بين يدي الله إلا كان لك مثل أجره، ولا صنع خصلة من خصال الخير إلا أجرت على تلك الخصلة أياً كانت. ففي الحديث الصحيح عن النبي . ﷺ .:"أنه يقام للرجل يوم القيامة ديوانه فتأتي أعمال كالغمامات فيقول: يا رب ما هذا؟ فيقال: سنن هديت إليها كان لك أجر من عمل بها" أي: سنن وخيرات دللت عليها وصنعت بها المعروف أجرت مثلما أجر أصحابها.

ز. المعونة على الدعوة إلى الله:

ومن صنائع المعروف بعد الدعوة إلى الله المعونة على الدعوة إلى الله، وذلك بحب العلماء ونشر فتاويهم وذكرهم بالجميل، وتحبيبهم إلى الناس وتقريبهم إلى قلوب الناس، فذلك من المعروف بالعلماء، وذلك من رد الجميل لهم ذكرهم بالجميل ونشر خيرهم بين الناس من أعظم الحسنات وأعظم الأجور المقربة إلى الله، فوالله لا يحب العلماء إلا الصالحون ولا يسعى لنشر خيرهم بين عباد الله إلا عباد الله المتقون، جعلنا الله وإياكم منهم.

هـ السعي على الأرامل والأيتام:

ومن صنائع المعروف التي يحبها الله جل جلاله فقد أخبر النبي . ﷺ. أن فضلها كالصيام والقيام، يوم تسعى على الأرملة التي لا تجد من يعولها فتكفيها بإذن الله همها وغمها.. يوم تذكر تلك المهمومة المغمومة حزنها وشجاها بفقد ولدها فتجد من عباد الله المسلمين من يفرج همها وغمها بإذن الله رب العالمين. والسعي على الأرامل والأيتام قال فيه النبي . ﷺ.:"الساعي على الأرملة واليتيم كالصائم النهار الذي لا يفطر، والقائم الذي لا يفتر"

قال بعض العلماء: إنما فضل النبي . ﷺ . السعي على الأرامل والأيتام بهذا الفضل لأن النفع متعدٍ، ومثل اليتيم والأرملة لا يجد من يعينه إلا الله جل جلاله، فإذا أهَّل الإنسان نفسه للسعي عليهم وتفريج كرباتهم والإحسان إليهم كان ذلك من أعظم الخير والبر.

ولصنائع المعروف فضائل منها:ـ

1. تقي مصارع السوء صنائع المعروف تقي مصارع السوء:

عن أبي أمامة ﷺ قال رسول الله . ﷺ .:" صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر.([1])

وعن النبي . ﷺ . أنه قال: "إن الصدقة تطفئ غضب الرب كما يطفئ الماء النار" فأخبر أن الصدقة تطفئ غضب الرب، والصدقة من صنائع المعروف. وثبت في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها – في صلاة الكسوف:"أن النبي . ﷺ . أمر الناس إذا كسفت الشمس أن يدعوا وأن يصلوا وأن يتصدقوا"، فدل هذا كما يقول العلماء على أن أعظم أسباب الخير الصدقة وفعل المعروف.

وها هي قصة واقعية يرويها صاحبها بنفسه.يقول:إنّه كان نازلاً من الطائف إلى مكة في يوم الجمعة وكان معه ابنه، فأراد الله عز وجل أنه رأي رجلاً ضعيفاً، فقال لابنه: قف لهذا الضعيف، فكأن الابن رأي إلى رثاثة حال هذا الضعيف وما هو عليه من الملبس الرث، فكره أن يركب معه في هذه السيارة الفارهة. يقول الوالد: فعلمت ما في نفس ابني، فلما ركب الرجل ذكرت ابني بصنائع المعروف، وأن الله يقي بها مصارع السوء، وأن الله يحفظ بها، وأن الله يلطف بها، فلما دخلنا إلى مكة ونحن في أشد ما تكون السيارة في السرعة لندرك الجمعة، وإذا بطفل أمام السيارة تماماً لا نستطيع

---

[1]) صحيح الترغيب برقم(889)

obeikandl.com

أن نفر عنه، فمرت عليه السيارة، فأصابه شيء من الرعب، فتوقفنا على أن الابن قد قضى ومات، وإذا به قائم على رجليه ليس به أي بأس. يقول: فلما ركبت السيارة انكفأت على وجهي وأنا في حالة لا يعلمها إلا الله، قلت: يا بني والله ما أعرف لك إلا هذا المعروف الذي فعلته فحفظنا الله وإياك به. وهذا عاجل ما يكون في الدنيا، فالله يلطف، وغالباً إذا رحم الإنسان عباد الله لطف به الله عز وجل، والقصص في ذلك كثيرة جداً في لطف الله، وأن صنائع المعروف يحفظ الله جل وعلا بها، والله تعالى أعلم..

2. تشفع لصاحبها يوم القيامة:

عن أبي مسعود البدريﷺ قال: قال رسول الله .ﷺ.:"حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان رجلا موسرا فكان يخالط الناس وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر.، فقال الله تعالى:" نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه".([1])

[1]) مسلم والترمذي.

obeikandl.com